الفصل الثاني
(الكتابة للطفل)

ليس من اليسير الكتابة للطفل ، فالكاتب كبير والمكتوب له صغير ، وهما من عالمين مختلفين جد الاختلاف ، والقضايا والأمور التي تشغل عالم الكبير غير تلك القضايا والأمور التي تشغل عالم الصغير.

وإذا أراد الكاتب أن يكتب للطفل فعليه أن ينسلخ من عالمه ويتخلص من همومه وكل ما يربطه بعالمه عقليا ووجدانيا وهنا صعوبة قدلا ينجح فيها وإن نجح فعلي حسب أشياء كثيرة ليس الكاتب علي استعداد أن يضحي بها.

بعد ذلك أن يلج عالم الطفل وهذه صعوبه ثانية ، فكيف له أن يفهم ويشعر بكل ما يموج به عالم الطفل عليه أن يتقمص الطفولة ويعرف إهتمامات الطفل ما يحبه ..وما يكرهه ما يرجوه ما يخافه ما يمتعه ما يؤلمه ما يضحكه ما يبكيه...علي الكاتب أن يحقق معادلة صعبة ، أن يعيش أو يعايش الطفولة وهو مايزال كبيرا أي أن يعود علي بدء كما يقول الكاتب (ابراهيم عبد القادر المازني)

ورب قائل يقول : إن الكتابة للطفل من السهولة بمكان فما علي الكاتب إلا أن يتذكر ذكريات الطفولة ويرتد بعقله سنوات ثلاثين أو أربعين ويكتب للطفل من خلال تلك الذكريات ..وينسي هذا القائل أن الكاتب حينما يرتد إلى الطفولة فإنما يزن بعقل الرجل فهو يري الطفولة من معيار الرجل وليس الطفل ...وأن تلك السنوات التي فصلت مابين طفولته ورجولته كانت كفيلة أن تمحي ملامح وسمات عالم الطفولة وأن لم تمحها فعلي الأقل أصبحت باهته مفرغة من محتواها

الوجداني .فهو قد يتذكر المواقف التي تعرض لها في طفولته ، أما ما أحاط بتلك المواقف الحيوية من مشاعر وأحاسيس وما يترتب في نفس الطفل منها فلا يبقى منه شيء ؛ ذلك لأن الطفل لا يرى العالم من حوله بعقله او بصره فحسب .بل يراه بكل ما في كيانه من حواس ، وربما يكون العقل هو آخر حاسة يرى الطفل العالم من خلالها .

" ليس الطفل رجلا صغيرا ، فللطفولة صفات خاصة بها دون سواها. فالطفل يرى ويسمع ويشعر ويفكر بصورة خاصة به ولا شيء يخالف المنطق والحس السليم والذوق الصحيح مثل رغبتنا في أن يرى ويسمع ويفكر مثلما نرى ونسمع ونشعر ونفكر نحن ، لذا يجب معاملته على اعتبار أنه طفل " [1]

وهنا توجد الهوة الواسعة التي تفصلنا عن أطفالنا . فقد ننسى أن الطفل له رؤية للعالم غير رؤيتنا ، ونعامله على مستوى تفكيرنا وشعورنا ، وننتظر منه ما ينتظر من الإنسان الناضج المكتمل العقل والخبرة . لذا لا يوجد اي لا يشكو أنه لا يفهم طفله ، لا يفهم مادا يريد ، ولا يفهم لمادا يبكي ، ولماذا لا يأكل ، ويزداد التوتر بين الكبار والصغار وينشأ شعور بعدم الثقة ، وعدم الشعور بالأمان بين العالمين فأفراد كل عالم متحصن بسوء الظن بافراد العالم الآخر . لذا تجد الطفل دائم الثورة ، متمردا ، رافضا ، يكسر ..يسكب ..يدمر ، وكأن لسان حاله يقول لا أريد هدا العالم ، أريد عالما آخر ، أريد عالمي أنا. لا هذا العالم الدي يقدمه لي الكبار ، فما يقدمه الكبار لا يصلح إلا لهم ، ولا يتفق إلا مع ميولهم ولا يرضي إلا رغباتهم ، وما يصلح للأطفال ويعد بالنسبة لهم شيئا عظيم الشان جليل الخطر قد يراه الكبار

---

١ . كيف تربي أطفالنا ونعالج مشاكلهم – معروف زريق – (٥١)

شيئا تافها لا قيمة له . فربما نبت صغير ينمو ببطيء كل يوم ويخرج أوراقه وبراعمه وتتكون وتتشكل تلك الأوراق والبراعم يوما بعد يوم ...يعد هذا الشيء الصغير البسيط شيئا عظيما وجليلا للطفل . بل قد يكون محور حياته وتفكيره لأسابيع وشهور . وربما طائر صغير يتنقل من غصن إلى غصن من أغصان الشجرة التي تقع أمام منزله أو قطع السحاب في فالسماء وهي تتجمع أو تتفرق وتتخذ أشكالا وأوضاعا . يشكل منها الطفل مصدرا لخيالاته وأحلامه فهي حيوانات خرافية من تلك التي سمع عنها في القصص . أو حيوانات مثل تلك التي يراها في الواقع أو في الكتب أو وسائل الإعلام . أو هي جيوش متحاربة وفرسان أقوياء ... يجلس الطفل ناظرا ساعات إلي السماء . مراقبا السحب . ولا يمل ولا يسأم والسماء أمامه مسرح واسع لخيالاته وتأملاته وأحلامه . وحياة الطفل كلها خيالات وتأملات وأحلام.

والكاتب الذي يكتب للطفل ينبغي أن يعرف هذا ويستيقنه تماما ويجسده في أدبه الذي يقدمه للطفل . وهو اذ يفعل ذلك يقترب اقترابا كبيرا من عالم الطفل . بل يكون له النصيب الأوفر في صياغة هذا العالم مشوقا للطفل محببا له يجد فيه كل ما يحلم به ومايتمناه ومايبحث عنه...يشعر الطفل أن هناك علاقة حميمة .هناك تناغم وانسجام بينه وبين جزيئات هذا العالم المصاغة وفق نفسيته وطبيعته ومزاجه " ويجدر بنا بصدد التشويق أن نلاحظ حقيقة ذات شأن . وهي أن مشوقات الأطفال تخالف مشوقات الكبار ومايثير شوق الكبار ليس ضروريا أن يثير شوق الأطفال وكذلك العكس . فشوق الأطفال له إتجاه خاص ومن الخطأ أن نقيس ميول الأطفال ومثيرات شوقهم بما نحس من ذلك في أنفسنا . فللأطفال

عالمهم الخاص ودنياهم العقلية التي يسبحون في ميادينها . ومشوقات الأطفال ليست بعيدة المنال أو متعاصيه علي المعالجة فإن في مظاهر الطبيعة وشئون الحياة اليومية تيارا متدفقا وغذاء صالحا للملاحظة"[1]

البحث عن عالم الطفولة:

ورب سائل يسأل :ما النتيجة التي سنخرج بها من وراء هذا الجهد الكبير الذي بذله الكاتب ؟ أهي صياغة عالم يشعر الطفل أنه عالمه وأن هناك علاقة حب وتفاهم بينه وبين هذا العالم؟ أتلك هي النتيجة التي يسعي إليها الكاتب؟

أقول ان هذا في حد ذاته ليس بالشيء القليل أن ينجح الكاتب في أن يصوغ هذا العالم . فالطفل كائن متقلب غير مستقر دائم التطلع إلي التغيير وإلي الجديد والغريب والشائق والممتع ...ففي أن ينجح الكاتب في خلق عالم لإرضاء الطفل فهذا إنجاز كبير.

ولكن مع ذلك ليست تلك النتيجة التي يسعي إليها الكاتب أو أدب الطفل. إنما النتيجة هي إستثارة أهم عنصر عند الطفل بالنسبه لنا وهو (الإيجابية) عند الطفل والرغبة في العمل والتفكير.نستنير فيه كل المواهب والإمكانات المطمورة في طبيعته والتي إن لم تستثار وتظهر في تلك المرحلة وتستغل ويستكشفها الطفل بنفسه ويشعر بوجودها فلن تظهر أبدا في المرحلة التالية في حياته .

" واذا اتجهت رغبة الطفل إلي شيء من ذلك رأيته باحثا ناشطا يوازن ويستنبط ويميز بين الأشياء والنظائر ويقدر الأشياء تقديرا حسابيا وهندسيا .يفرق

---

١. الاتجاهات الحديثة في التربية – محمد عطية الإبراشي – (١٤٦)

بين الكبير والصغير والقليل والكثير يوازن بين الأبعاد المختلفة للأجسام ويدرك الفرق بينها عدا ووزنا ومساحة وحجما إلي غير ذلك"[1]

إذن نحن نأخذ بيد الطفل ليستكشف ذاته ويبدأ في معرفة نواحي وسمات وملامح تلك الذات وهو إذا عرف ذاته ، فقد وثق بنفسه . فالخير كل الخير في تلك الثقة فقد وضعنا الطفل في الطريق الصحيح.

الهدف من أدب الطفل:

نحن حين نكتب أدبا للطفل ليس هدفنا مجرد إمتاعه وتسليته فحسب ، والأدب الذي يهدف إلي ذلك إنما هو يعلن عن إفلاسه ،وعن جهله تماما بالطفل ونفسيته وتفكيره. فالمرحلة الهامة والخطيرة التي يمر بها الطفل يجب أن نستثمرها أفضل استثمار فهي مرحلة تشكيل وصياغة وهي موقوته بسنوات معينة إذا تجاوزها الطفل وإنتقل إلي مرحلة عمرية تالية ، فقدنا تلك الفرصة التي تمكننا من تشكيل وصياغة وجدان وعقل هذا الكائن الذي يعتبر مادة خام قابله لأن تُشكل وتُصاغ أفضل تشكيل وأحسن صياغة. (كل مولود يولد علي الفطرة ،فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))أخرجه البخاري.

فهي مرحلة هامة تتميز بالقابلية والتلقي والتأدب بدون أدني مقاومة من جانب الطفل " فإن المرحلة الأولي من ، ل الطفل هي أهم مرحلة في تربية الطفل جسميا وخلقيا وفي تعويده أحسن العادات وأكرم الأخلاق . فيعني الوالدان بصحته وبنمو جسمه وتغذيته تغذية صحيحة وتعوده أدب الحديث وأدب السؤال بحيث يكون مهذبا في سؤاله لطيفا في حديثه يحسن الوصول إلي ما يريد في رقة

---

[1] الإتجاهات الحديثة في التربية – محمد عطية الإبراشي – (١٤٧)

وأدب ويتعود القدرة علي مسح آثار الخطأ إذا صدر منه للغير بأن يستطيع إزالته بحسن الإعتذار وينبغي أن يعود آداب الأكل والشرب وذلك بأن يغسل يديه قبل الأكل وبعده ،ويسمي عند الشروع في الأكل ويأكل بهدوء ومما يليه ويجيد المضغ ولا ينظر لغيره من الآكلين ،ولا يتقدم علي من هو أكبر منه،ولا يزاحم علي المائدة ولا يسبق غيره ويحمد الله عند الفراغ من الطعام وإذا شرب يشرب بهدوء ولا يتنفس في في الإناء ولا يشرب بطريقة الكرع في الماء،وهذه الآداب قد ورد بها التوجيهة من المصطفي صلي الله عليه وسلم فيما يرويه عمر بن أبي مسلمة رضي الله عنهما قال:كنت غلاما في حجر الرسول ﷺ فقال لي:

(ياغلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك) [1]

وكل شيء في تلك الحياة له وقت لا يصلح إلا به ، فإن أنت تجاوزت هذا الوقت المعلوم لم يعطك ماترجوه منه ، مثل أنواع النباتات له مواسم وأوقات تزرع فيها،فإن تخيرت هذا الوقت المناسب،نمي النبات واستوي علي سوقه وأثمر ،كذلك الطفل ،فإن المرحلة التي يمر بها هي أنسب مرحلة للغرس ،غرس جميع القيم والمبادئ والفضائل والخصال الحميدة،وماسوف يتأدب به في هذه المرحلة سينشأ عليه ويطل عليه طوال عمره...والإمام (أبي حامد الغزالي) من المفكرين الذين اهتموا بالطفل وله في جميع نصائحه إشارة أو إشارات إلي وجوب تأديب الأطفال وهو لا يقف بآثار الأدب في الدنيا ،بل آثار الأدب تتجاوز الدنيا ليحي الطفل ثمارها في الآخرة " اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسه ساذجة خالية من

---

١. الطفل في الشريعة الإسلامية - د محمد بن أحمد الصالح - (٣٥٩)

كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلي كل ما يمال به إليه،فإن عود الخير وعلمه ونشأ عليه وسعد في الدنيا والآخره وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له مؤدب ،وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له يقول الله عزوجل :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [سورة التحريم:٦]

ومما كان الأدب يصونه من نار الدنيا فإنه يصونه عن نار الآخرة أولي وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعيم ولا حبب إليه الزينة والرفاهية ،فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره"

وأصاب الإمام الغزالي القصد حينما قال إن الطفل جوهرة نفيسة سانجة خالية من كل نقش وصورة، وهو يعرف ويعلم أن مرحلة الطفولة مرحلة ذهبية وفرصة لنا أن نكتب ما نشاء علي تلك الصفحة البيضاء الخالية كلمات الخير والحب والصلاح والغزالي- رحمه الله - له غرض وهدف وقصد من تأديب الطفل فهو يقول : " المقصود من تأديب الصغار أن يقوي بها علي طاعة الله وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتي تدوم درجته عند الله ويتسع نعيمه في الجنان،فإذا كان النشيء صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وأن واقع النشيء بخلاف ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن

قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعي"[1]

ولا يختلف إثنان علي أن تعهد فترة الطفولة بالرعاية والإهتمام يجنبنا الكثير من المشكلات والمصاعب أثناء الكبر ،بل إن الإهتمام بالطفل وبالمرحلة التي يمر بها وحرصنا علي تزويده وتأديبه علي الفضائل والمكارم تجعلنا نطمئن علي هذا الطفل في المراحل التاليه لأنك إذا وضعت الأساس قويا راسخا متينا، فلك أن ترتفع بعد ذلك بالبناء بدون خوف أو قلق من إنهيار أو تصدع لأن الذي يحدد البقاء من عدمه هو الأساس .

لذا فقد كان الخلفاء يهتمون إهتماما لانظير له بتربية وتأديب أطفالهم بان يدعوا لهم أكبر وأشهر الأدباء ويزودونهم بالنصائح والمناهج التي يجب أن يسيروا عليها في تأديب وتعليم أطفالهم.

" من أحسن مذاهب التعليم ماتقدم به (الرشيد) لمعلم ولده محمد الأمين فقال: (إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة فكنه حيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه الآخبار وروه الأشعار وعلمه السنين وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد إذا حروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ،ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما إستطعت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظه "[2]

---

١ . إحياء علوم الدين – الإمام ابي حامد الغزالي – الجزء الثالث (٧٤)
٢ . مقدمة ابن خلدون – الجزء الرابع - (١٢٤٣)